



الورقة الثالثة

الخلافة.. بوابة الخروج الآمن من النفق المظلم

قدمها: الأستاذ إبراهيم عثمان (أبو خليل)

الناطق الرسمي لحزب التحرير في ولاية السودان*

رسماً للخط المستقيم أمام الخطوط الموجة؛ أنظمة الحكم الغربية؛ من ديمقراطية رئاسية، أو برلمانية، أو إمبراطورية، أو ملكية دستورية أو غيرها، فإننا من خلال هذه الورقة نتحدث عن نظام الحكم في الإسلام الذي دلت عليه النصوص الشرعية، وعن انطباق أحکامه على واقع الحكم، بل وتنزيه عن غيره من الأنظمة، ولولا عدو حاقد لئيم، ملك أمر المسلمين، فلم يأْلَ جهداً، أو يدخل وسعاً للتضليل والتشويش على المسلمين، لولا هذا العدو ومكره الذي أفضى إلى غياب هذا النظام لأكثر من قرن، لو لا ذلك لتهافت الناس من غير المسلمين في أرجاء المعمورة يطالبون بالعيش تحت ظل نظام الإسلام، وهم المظلومون والبُؤسَاء والتعساء، وإن غداً لนาظره قريب.

إن نظام الحكم في الإسلام هو الخلافة؛ وهي رئاسة عامة لل المسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي، على رأسها الخليفة الذي ينوب عن الأمة في الحكم والسلطان، وفي تنفيذ أحكام الشرع، وحمل الإسلام إلى العالم بالدعوة والجهاد، وال الخليفة إنما ينصبه المسلمون لأن واقعه أنه نائب عن الأمة، لأنها صاحبة السلطان، ويكون تنصيب الخليفة بالعقد الشرعي (عقد البيعة) بين الأمة أو من يمثلها من أهل الحل والعقد، وبين الخليفة، وتنعقد بيعة الانعقاد الشرعية بالرضا والاختيار.

وإقامة الخلافة فرض على المسلمين والتقدير في القيام بهذا الفرض معصية من أكبر المعاصي يعذب الله عليها أشد العذاب. والأدلة على ذلك مستفيضة نأخذ منها ما ورد في الكتاب من أمر الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أن يحكم بين الناس بما أنزل الله، قال سبحانه وتعالى: **﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ إِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْدَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾**، خطاب الرسول ﷺ خطاب لأمتة طالما لم يرد دليل التخصيص.

وفي السنة المطهرة ما رواه مسلم عن طريق نافع قال، قال ﷺ: «مَنْ خَلَعَ يَدَهُ مِنْ طَاعَةِ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنْقِهِ بَيْعَةُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

ومن ذلك أيضاً إجماع الصحابة على إقامة خليفة لرسول الله ﷺ، وخليفة من بعده لأبي بكر الصديق، ثم لعم رضي الله عنهم أجمعين، بالإضافة إلى القاعدة الشرعية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

والخلافة منصب دنيوي بشري، وهي ليست منصبأً آخر وياً، فال الخليفة هو شخص من المسلمين، وظيفته أن يطبق الشرع على المسلمين، ويحمل الإسلام إلى العالمين، لذلك فإن الذين يتولون منصب الخلافة هم بشر وليسوا أنبياء، يجوز في حقهم ما يجوز في حق المسلمين من الخطأ والتسبيح والمعصية، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَاحٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُنَقَّى بِهِ فَإِنْ أَمْرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ بِدَلِكَ أَجْرٌ وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ».**

وفي ظل الخلافة لا توجد حصانات حتى ل الخليفة المسلمين، فهو يحاسب ويمثل أئمماً القضاة، ويعزل، وقد مثل سيدنا علي بن أبي طالب أئمماً القاضي شريح في القصة المشهورة، وكان لا يملك شهوداً إلا أبناءه الحسن والحسين، فحكم القاضي شريح لصالح

الرجل اليهودي، وقال القاضي شريح لعلي كرم الله وجهه: "لم يجلب شهوداً مسبقاً وهذا الرجل أقسم بالله أن الدرع ملكه.. البينة على المدعي واليمين على من أنكر".

والخلافة دولة متميزة بشكلها وجهازها وأحكامها، وهي وحدها التي تشكل بوابة الخروج الآمن من نفق الأزمة السياسية التي تعاني منها البلاد للاتي:

أولاً: الخلافة هي الدولة الوحيدة التي تطبق الشريعة الإسلامية، وتوصل الإسلام صافياً نقياً إلى سدة الحكم، بعيداً عن محاولات تطبيق بعض أحكام الإسلام في قوله الديولات الوطنية، والتي شكلت تحارب فاشلة، كانت حقيقتها وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم لكنهم عجزوا عن إيصال الإسلام إلى سدة الحكم.

أما الشريعة الإسلامية والتي لا تطبقها إلا الدولة التي دلت عليها النصوص الشرعية وهي دولة الخلافة، فإن هذه الشريعة هي نظام كامل للحياة؛ في الحكم والاقتصاد، والمجتمع وسياسة التعليم، والسياسة الخارجية، ولكل هذه المنظومة من الأحكام التي جاء بها الوحي العظيم، وهي من لدن حكيم خبير: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**.

وقد صاغ حزب التحرير باجتهاد صحيح هذه الأحكام في مشروع دستور ومنظومة تشريعية قابلة للتطبيق عند إقامة الخلافة متى يأذن الله لفجرها بالإشراق.

ثانياً: الخلافة هي دولة الرعاية، بل هي الدولة الوحيدة على مر التاريخ الإنساني التي ترعى شئون الرعية بالعدل والإحسان، وتنصر المستضعفين في أرجاء المعمورة، فالخلافة ترعى شئون رعيتها من المسلمين وغير المسلمين بلا من ولا أذى ولا مقابل مادي، يقول رسول الله ﷺ: **«فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعْيَتِهِ»**. والإمام الراعي هو الذي قال عنه الحسن البصري في وصيته لل الخليفة عمر بن عبد العزيز: (... والإمام العادل كالراعي الشفيف، والحازم الرفيق، الذي يرتاد لغنهما أطيب المراعي، ويندوها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكيفها أذى الحر والقر. والإمام العادل كالأخ الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، ويكتسبهم في حياته، ويدخر لهم بعد وفاته. وكالآم الشفيف، البرة الرفique، حملت ولدها كرهاً، ووضعته كرهاً؛ تسهد إذا سهد، وتسكن إذا سكن، ترضعه تارةً، وتُقْطِمُهُ أخرى، تفرح بعافيتها، وتحتم بشكايته. والإمام العادل كوصي اليتامي، وخازن المساكين؛ يربى صغيرهم، ويعون كبارهم. والإمام العادل كالقلب بين الجوارح؛ تصلح بصلاحه الجملة، وتفسد بفساده. والإمام العادل هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله فيسمعهم، ويصر آثار نعمة ربهم فيبصّرهم، وينقاد إلى أوامر الله تعالى ويقودهم).

ثالثاً: لأن الخلافة هي الدولة الوحيدة التي تكرم، بأحكام الإسلام، غير المسلمين من رعاياها الدولة، فلا يتعرضون لأي نوع من التمييز، ولا يجبرون على الذوبان في مجتمع المسلمين كما يفعل الغرب الكافر الدعي بال المسلمين الآن، لذلك ورد في المادة السادسة من مشروع دستور دولة الخلافة: "لا يجوز للدولة أن يكون لديها أي تمييز بين أفراد الرعية في ناحية الحكم أو القضاء أو رعاية الشئون أو ما شاكل ذلك، بل يجب أن تنظر للجميع نظرة واحدة بغض النظر عن العنصر أو الدين أو اللون أو غير ذلك"؛ لذلك كان عقد الذمة الذي يعطى لغير المسلمين من رعاياها الدولة أكثر إنصافاً ورعاية من فكرة (الأقليات) الموجودة في الحضارة الغربية، لأنه و بموجب عهد الذمة، فإن أهل الذمة لهم ما لنا من الإنصاف، وعليهم ما علينا من الانتصاف، يقول سبحانه وتعالى: **﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعُدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُّكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيرَاً﴾**.

رابعاً: الخلافة بتطبيقها للأحكام الشرعية تكرم المرأة، وترتفع بها إلى مستوى العبودية لله، بعيداً عن حضارة الغرب الزائفة، التي ما زالت تبحث عن كيفية إنصاف المرأة، واتخذت من مساواتها بالرجل طريقاً لزيادة شقائصها، وهي تحسب أنها تحسن صنعاً.

خامسًا: الخلافة هي الدولة الوحيدة القادرة عند إقامتها على اقتلاع نفوذ الغرب الكافر من بلاد المسلمين، وإغلاق سفارات الدول الاستعمارية الطامنة في بلادنا، وكنس الوسط السياسي الديمقراطي العلماني المتخابر مع سفارات الأعداء، وإيجاد وسط سياسي على أساس الإسلام.

سادسًا: الخلافة دولة عالمية بعالمية مبدأ الإسلام العظيم، تعد القوة استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلٍ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونَهُمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، فهي دولة تسعى لحمل الإسلام إلى العالم، لذلك فهي تأخذ بكل أسباب القوة لتكون الدولة الأولى في العالم كما كانت من قبل ١٣ قرناً من الزمان.

سابعاً: الخلافة هي الدولة الوحيدة القادرة على تغيير الشريعة الدولية، وهدم مؤسساتها الرأسمالية الظالمية التي كانت سبباً في شقاء الإنسانية، فالدولة الإسلامية عندما كانت الدولة الأولى في العالم، جلبت الخير والطمأنينة للإنسانية جماء.

ثامناً: الخلافة هي الدولة التي يعول المستضعفون في أرجاء المعمورة على نصرتها، لأن نصرة المستضعفين من أحكام الفكرة التي تقوم عليها الدولة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقُرْيَةِ الظَّالِمٌ أَهْلُهَا وَاجْعَلْنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَا وَاجْعَلْنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.

تاسعاً: حمل رسالة الإسلام إلى العالم، وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وسوق الناس، ولو بالسلسل إلى جنة عرضها السماوات والأرض بالحجارة والإقاع، وما يرون من عدل الإسلام فيدخلون في دين الله أفواجاً.

عاشرًا: الخلافة هي التي تجمع شعث أمة الإسلام في دولة واحدة، وأمة واحدة، تحت راية واحدة، تعز المسلمين، وتذل الكافرين.

هذه عشرة كاملة كل واحدة منها كفيلة بأن تجعل المسلمين يدفعون الغالي والنفيس من أجل إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة اليوم قبل الغد، فكيف لو أن العشرة مجتمعة، وهي غيض من فيض الحياة في طاعة الله، ومعيته، ونصره، ثم رضوان من الله أكبر.

ومن هنا ندعو جميع إخواننا السياسيين، والإعلاميين، وكل المهتمين بأمر العامة أن ضعوا أيديكم على أيدينا في حزب التحرير لنعيد صرح الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، فهي وعد ربنا سبحانه، وبشرى نبينا ﷺ القائل: «مُمْ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ»، فهي البوابة الوحيدة للخروج الآمن من النفق المظلم الذي تعشه أمتنا.

* كلمة ألقاها الأستاذ إبراهيم عثمان (أبو خليل) الناطق الرسمي لحزب التحرير / ولاية السودان في الخامس عشر من رمضان المبارك ١٤٤٣ هـ في صالة منتجع (دوسة السياحي) خلال فعالية الإفطار الرمضاني السنوي الذي نظمه حزب التحرير / ولاية السودان، والذي حضره جمع غفير من السياسيين والإعلاميين والعلماء وزعماء الإدارات الأهلية، وغيرهم من يهتمون بأمر العامة، بالإضافة لشباب حزب التحرير.